علاقات الصداقة، بين الواقعي والافتراضي

الباحث: محمد الأمين لعليجي، جامعة الجزائر 3

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى التطرق للدور الذي اصبحت تلعبه الانترنت داخل المجتمعات وخاصة مشاركتها في تشكيل علاقات إجتماعية جديدة، وذلك بالإشارة للقدرات التقنية التي توفرها الانترنت ومواقعها الجديدة القائمة على المشاركة وإنتاج المحتويات بالإضافة للاستخدامات المختلفة وطرق إستحواذ المستخدمين عليها التي انتهت لإحداث تحولات على الطريقة التي يدرك و ينظم بها المستخدمون علاقاتهم الاجتماعية على الخط وخارجه. بالرغم من كون الانترنت في طليعة التغيرات التي حصلت في المدة الاخيرة الماضية، إلا أن سيولة مفهوم ومعنى الصداقة أصبح أكثر بروزاً في السبع سنوات الاخيرة، خاصة مع ظهور وسائل الاعلام الاجتماعية مثل الفايسبوك. جذبت علاقات الصداقة كمفهوم وكذلك باعتبارها جانب مهم من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية انتباه الباحثين بحيث درسوا امكانية تشكلها افتراضياً وهو الموضوع الذي يطرح العديد من التساؤلات خاصة لما تقارن بصداقة الحياة الواقعية.

Abstract:

The objective of this article is to examine the growing evidence of the impact of the World Wide Web on societies, in particular, the formation of new social relations. The technical capabilities that offer the internet and the new participatory-based and user-generated sites and also the different uses and appropriations of these mediums had resulted to many transformations in the way that users organized and perceive their social relations both online and offline. While over the past 17 years the Internet has been at the forefront of these changes, it is in the last 7 years that the fluidity of the meaning and concept of friendship has become even more evident with the advent of social media such as Facebook. Friendship, both as a concept and as an important part of social relations and interactions had captured the attention of researchers; they studied the possibility of its formation virtually which poses many questions when it is compared to real life friendship.

مقدمة:

يلاحظ المتأمل للانشغالات البحثية في السنوات الاخيرة لميادين العلوم الاجتماعية عامة، والأبحاث الاتصالية والاعلامية بشكل خاص، إزدياد الاهتمام بموضوع استخدام الانترنت، باعتبارها وسيلة فعالة تعمل ضمن متغيرات أخرى لإنشاء العلاقات الاجتماعية Social Relationships، فقد توصلت نتائج العديد من المسوح والدراسات الامبريقية التي أنجزت في عدد من البلدان أن استخدامات الانترنت الأكثر تردداً هي التي تكون لأهداف اتصالية؛ بحيث تساعد الانترنت بوصفها وسيط اتصالي ونتاج تراكم الابداعات التكنولوجية في تسهيل الحفاظ على الروابط الاجتماعية، كما تساهم في انشاء علاقات جديدة بين الافراد لم تكن موجودة قبل خوضهم في العالم الافتراضي (McKenna, Green, & Gleason, 2002); (Parks & Floyed, 1996)

بعيداً عن أيةُ نظرة انبهارية ووعي بتعقد العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع وبضرورة تجنب الوقوع في الحتميات، أصبح من الضروري الاعتراف بتدخل الانترنت ومواقعها وقدرتها على التغلغل بليونة في جوانب عديدة من المحيط الانساني، مُشكّلةً فضاء جديد قد يكون موازيا لعالم الحياة اليومية يسهل التعارف وإنشاء الصداقات meet and socialize بالنسبة للعديد من المستخدمين من خلال اندماجهم في استخدامها وتبنيهم لها، فالمجتمعات الافتراضية...أعطت للأفراد الذين يلجئون اليها نوافذ أخرى، ومرجعيات اضافية للتعامل مع العالم الاحادي البعد الذي عرفوه فيما سبق بحيث تعمل على تجزئته... [(1)].

يؤكد (Gergen 1991) على دور تكنولوجيا الاتصال في تغيير العلاقات الاجتماعية حيث لاحظ؛

> *"A century ago, social relationships were largely confined to the distance of an easy walk. Most were conducted in person, within small communities:*

family, neighbors, and townspeople…From birth to death one could depend on relatively even-textured social surroundings. Words, faces, gestures, and possibilities were relatively consistent, coherent and slow to change.''(2)

وعليه، فإن العلاقات التي تنشأ في السياق الافتراضي يُمكن أن تنتقل لوسائل اتصالية أخرى، أو حتى الهجرة للعالم الواقعي والتفاعل وجه لوجه (FtF) إن وجدت الرغبة والإرادة لتطويرها. يميل الأفراد وخاصة فئة الشباب والمراهقين للتفاعل مع أقرانهم الذين يبحثون عن لقائهم خارج حدود محيطهم الفيزيقي، من خلال البحث عن نسج صداقات جديدة قد تكون امتداداً وقد تختلف تماماً عن تلك التي يتشاركونها وجها لوجه في حياتهم اليومية، بحيث أصبح تدريجياً تشكيل الصداقات على الخط أهم الجوانب الجاذبة والمحفزة لاستخدام الانترنت ومواقعها التفاعلية.

تطرح مسألة تشكُل العلاقات الاجتماعية عامة وعلاقات الصداقة بشكل خاص على "الخط"، العديد من التساؤلات التي تبحث عن اجابة؛ خاصة فيما يتعلق بمفهوم الصداقة في حد ذاتها وارتباطها بالسياقين الواقعي والافتراضي، فقد أثبتت مجموعة من الدراسات الكمية والكيفية (خاصة الانثروبولوجية) اختلافات في تصور مفهوم الصداقة على الخط، والتي تحيل لمجموعة عريضة وغامضة من العلاقات التي تتداخل ببعضها لخصتها لغة التكنولوجيا في لفظ صديق Amie/Friend، لذلك تهدف هذه المساهمة الى البحث والتساؤل عن مدى تشابه واختلاف مفهوم الصداقة بين السياقين الواقعي والافتراضي؟، وذلك بالتركيز على بعض الدراسات التي تطرقت لهذه الاشكالية.

1. مفهوم علاقات الصداقة في العالم الواقعي Real World

يُعد موضوع الصداقة من أكثر الموضوعات التي تستأثر باهتمام العلوم الإنسانية بمختلف تخصّصاتها، إذ يشمل هذا الموضوع رافداً من الروافد المتنوّعة

التّي تفرّعت من مجال بالغ الخصوبة والثراء اصطلح الباحثون على تسميته "سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص".

يتعرض علم الاجتماع كذلك لموضوع الصداقة باعتباره رابط اجتماعي خاص، وتنظر اليها المجتمعات بوصفها علاقة خاصة بين الأفراد تخضع لحرية الاختيار وتقع في نفس الوقت ضمن الأطر الاجتماعية وتساعد في بناء النسيج الاجتماعي للمجتمعات بحيث يشارك كل صديق جديد في توسعة الشبكة العلاقاتية للفرد، ويعمل على فتح عالم صغير آخر يسهل له النفوذ للمجتمع ويساعده في الولوج الى أماكن وبيئات ومعارف جديدة، ويعرفه بأشخاص جدد أيضا، فعملية نسج الفرد لشبكة صداقاته تمكنه من الانتقال بين الفضاءات الاجتماعية المتنوعة، بحيث تعمل هذه الديناميكية ضمن عملية التنشئة الاجتماعية، أين تقوم ببناء ارتباط الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، بحيث [3]يشير (Bidart 2010)

> *« Toute amitié, toute rencontre se produit dans un cadre social, qu'il s'agisse d'un milieu de travail, de résidence, de loisirs…Au sein de ces milieux émergent divers ensembles d'individus liés par un ressort commun particulier, que l'on appellera des cercles sociaux »*

فهذه الدوائر الاجتماعية، تشمل العديد من المجموعات التي تتداخل وتتقاطع وتشكل وسيط بين السياق العام والشبكة الفردية التي يعمل الفرد على الاستثمار فيها، فتتمثل الصداقة في علاقة بين شخصين أو أكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية تخلو عامة من الرغبة الجنسية كما أشار English and English [4]، كما أنها تشير لعلاقة إجتماعية وثيقة ودائمة تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصّة، وتحمل دلالات بالغة الأهميّة تمس توافق الفرد واستقرار الجماعة، فيشير (Hartup 1975) بأن *"الأصدقاء هم الذين يبحثون عن رفقة بعضهم البعض تلقائياً، علاوة على ذلك، يبحثون عن القرب في غياب*

ضغوطات اجتماعية "[5]، بحيث تُؤسّس الصداقة على مجموعة من التفاعلات الطوعية وغير المقيدة التي يرد عليها الفاعلون بأنفسهم يشعرون من خلالها براحة وعفوية في التعامل، بحيث يؤكد (Hays 1988) بقوله [6]:

"الصداقة هي الترابط طوعية بين شخصين مع مرور الوقت، والذي يهدف الى تسهيل الأهداف الاجتماعية والعاطفية للفاعلين أو المشاركين، ويمكن ان تنضوي على درجات متفاوتة من الرفقة، الحميمية والمودة، والمساعدة المتبادلة." كما أضاف Sears ثلاثة عناصر أساسية تميز الصداقة: [7]:

1- الإعتمادية المتبادلة التي تبرز من خلال تأثير كل طرف في مشاعر ومعتقدات وسلوك الطرف الآخر.
2- تشمل العلاقات الوثيقة أنماط مختلفة من النشاطات والاهتمامات المتبادلة حيث يميل الأصدقاء إلى مناقشة موضوعات مختلفة، كما يشتركون في ضروب متنوعة من النشاطات والاهتمامات بالمقارنة بالعلاقات السطحيّة التي تتركّز في أغلب الأحوال حول موضوع أو نشاط واحد.
3- قدرة كل طرف من أطراف العلاقة على استثارة انفعالات قوية في الطرف الآخر وهي خاصيّة مترتبة على الاعتمادية المتبادلة بين الأصدقاء، إذ تعدّ مصدراً لكثير من المشاعر الايجابية السارة وأحيانا غير السارة.

الصداقة وعلاقات إجتماعية أخرى

حاول الكثير من الباحثين على مدى الأدبيات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية إيضاح الفروقات الموجودة التي تميز الصداقة عن غيرها من العلاقات التي يتقاسمها الفرد مع غيره، ولكنهم أكدوا أيضا على صعوبة الفصل النهائي بينها وإمكانية تطور تلك العلاقات لتصبح "صداقة" في ظل توفر شروط معينة متفق عليها اجتماعياً:

1- الصداقة والزمالة: [8]

تدل شواهد عديدة على تنوع علاقات الأشخاص من حيث القرب والعمق والتفضيل، فمن بين الأصدقاء يستطيع المراهقون التفرقة بين أفضل صديق والصديق الحميم والمقرب أو المألوف، وبجانب الأصدقاء، يكوّن الأفراد علاقات إجتماعية مع الزملاء دون هذا المستوى من القرب والخصوصية تتضمّن الزمالة أو المعارف الإجتماعية أو العلاقات السطحيّة، ومنه نستطيع ايجاد أربع مستويات متدرّجة للعلاقات الإجتماعية من حيث العمق والخصوصيّة على النحو التّالي:

أ- الأصدقاء المقرّبون close friends: تتضح في تفاعلاتهم أعلى درجات الحب المتبادل والمعرفة الدقيقة بخصائص الصديق، مع الاستعداد لتبادل المعلومات والأسرار ومناقشة المشكلات وصياغة الأهداف.

ب- الأصدقاء الاجتماعيون social friends: وهي فئات تتراوح من الصداقات العرضيّة والتي تتصف بمعدّلات محدودة من الاتّصال ودرجات منخفضة من التجاذب والحب والمشاركة والمساعدة، وهي قابلة للتعويض عكس الصديق المقرّب.

ج- المشاركون في النشاط: تقوم على المشاركة في النشاط في غياب الصداقة وتشمل العمل في مشروع مع شخص آخر أو أداء مهمّة مشتركة.

د-المعارف: هي علاقات لا تنهض على الصداقة ولا على الاشتراك وإنّما ترتكز على القرب الفيزيقي في المقام الأول ومنها علاقات الزمالة، الجيرة...الخ.

2- الصداقة والحب:

يشير (Davis) إلى أن الحب والصداقة يتشابهان في وجوه عديدة، غير أنهما يختلفان في مظاهر أساسية تجعل الحب علاقة أوفر إثابة إلا أنها أقل استقراراً، ويعبّر (Davis) عن العلاقة بين المفهومين في جملة موجزة يشير فيها أن الحب صداقة (إذ يستوعب كل مكونات الصداقة)، ولكنّه يزيد عليها بمجموعتين من الخصائص وهما الشغف passion والعناية caring.

3- **الصداقة والتجاذب بين الأشخاص:**

تعرّف الجاذبية بأنها" *خاصّية لشخص تستثير استجابات التقرب من جانب الأشخاص الآخرين أو هي ميل إلى الاقتراب من شخص ما*". أما الصداقة فتشير الى العلاقة المتبادلة والمستقرّة والمستمرّة والتي لا تتسم بدرجات متفاوتة من العمق والخصوصيّة، بينما يشير التجاذب الايجابي نحو شخص آخر فحسب، وقد تنشأ أو لا تنشأ عنه صداقات حقيقية.

4- **الصداقة والتقبل الإجتماعي:**

يشير التقبل الإجتماعي social acceptance إلى درجة نجاح الأشخاص في عضويّة الجماعات التي ينتمون اليها كما تحدّد من اختيار الأعضاء الآخرين لهم كرفقاء يشاركونهم الأنشطة، أما الصداقة فتتميّز بخاصيّة الاختيار المتبادل والمستقر عبر الزمن بين طرفي العلاقة الاجتماعية، أما التقبل الإجتماعي فهو مؤشّر على النجوميّة والشعبية لا يلزم وجود علاقة متبادلة.

إن الصديق هو إنسان قادر على حب إنسان آخر بغض النظر إن كان يبادله المحبّة، فالصداقة يمكن أن تحدث بين نفس النوع أو باختلافه، كما أنها تتجاوز السن فتحدث بين طفل صغير وإنسان بالغ، كما يمكن التماس الصداقة وايجادها ضمن العلاقات العائلية بين الأب وإبنه وبين الأم وابنتها، فتحدث بشكل عام لثلاثة أسباب: [9]

1- الفضيلة Virtue: تكون الصداقة في هذه الحالة من أجل الصداقة نفسها أين يعجب الطرفين ويعتزّان ببعضهما البعض من أجل بعض القيم ذات المصداقيّة في شخصية كل منهما.
2- المنفعة Usefulness: هي صداقة قائمة على قيم نفعيّة، يبحث كل فرد من ورائها تحقيق منفعة من الطرف الآخر (غالبا مادية) وهي صداقة غير أبدية بل حينيّة تنقضي بانقضاء المصلحة.

3- المتعة Pleasure: تقوم على نسبة المتعة التي يمكن أن تحقّقها العلاقة بين شخصين.

وفي هذا الاطار، يؤكد بعض الباحثين على الافكار السابقة ويعتبرون أن الصداقة friendship هي علاقة خاصّة بين الأفراد [10] توجد في كل العالم وفي كل المجتمعات، في كل الطبقات، وفي كل الأعمار وكل الأوقات" وقد ذكر (Krackhardt) أنه توجد ثلاثة شروط ضرورية لنمو الصداقة هي [11]:

أولا: وجود نسبة هامّة من التفاعل بين الفردين.

ثانيا: وجود مودّة متبادلة بين الفردين.

ثالثا: ضرورة بناء تاريخ من التفاعلات بين الفردين، بحيث يوجد فرق بين الصداقة المقرّبة التي تنبني على قضاء أوقات طويلة مشتركة والتفاعل في وضعيات عديدة وتوفير الدعم العاطفي المتبادل، وبين الصداقة العرضيّة casual friendship، وعبّر كل من (Baron and Bayne) في هذا الصدد على أن:

"أن الصديق العرضي هو إنسان يكون من المضحك التواجد معه، في حين أن الصديق المقرّب هو شخص ذو قيمة راجعة لتميّزه بالكرم والرقّة والصدق". [12]

فالصداقة المقربة إذن، تعني أن الفردين يقبلان الكشف عن ذاتيهما، ويعبران عن أحاسيسهما، فيقدّمان ويستقبلان الدعم ويختبران الثقة بينهما ويدخلان في إتصال جسدي (عن قرب).

أثبتت العديد من الدراسات [13] أنّه توجد ثلاثة متغيّرات مفتاحيّة مهمّة جداً في الصداقة أولها **القرب** proximity والذي تعني أيضاً توالي اللقاءات وثانيهما **التشابه** similarity، والذي يعني التشابه في الاهتمامات والقيم، ثالثها **الجاذبية الجسدية** والتي لها دور مهم، وتعدّ محدد للتجاذب المتبادل بين شخصين.

كما أن اللقاءات المتكررة تعمل على تشكيل العلاقات، بحيث يثبت هذا الطرح أنه توجد فرصة كبيرة لأن نكون أصدقاء مع أشخاص نلتقيهم بكثرة،

كالأشخاص الذين نعمل معهم أو نلتقيهم كل صباح...كما أن التشابة مهم في تكوين الصداقات أين يعمل الأفراد على الظهور بجاذبية أمام الأفراد المشابهين لهم أو الذين يقاسمونهم نفس الآراء، بحيث يتصادق الأفراد بناءاً على عوامل عديدة مثل السن، التعليم، الدين، الشخصيّة، العادات، القدرات...

2. مفهوم علاقات الصداقة عبر العالم الافتراضي Virtual World

شهدت السنوات السبع الأخيرة انتشار مواقع المشاركة، وإنتاج المحتويات من طرف المستخدمين أنفسهم new participatory-based and user-generated sites مثل facebook، Twitter، ومواقع مشاركة الفيديوهات مثل YouTube أو فضاءات الكتابات الشخصية Personal Writing Spaces مثل المدونات، فهذه المواقع على اختلافها أدت لطرح أسئلة عديدة ومهمة مرتبطة بالصداقة مثل ما هو الصديق؟ كيف نحدد الصداقة التي تنشأ في مثل هذه المواقع؟ وهل هناك اختلاف بين صديق الواقع والصديق الافتراضي؟ .

حيث يرى العديد من الباحثين أن social media كانت من ضمن العوامل المؤثرة في تغير مفهوم الصداقة الذي يرون أنه لم يعد ثابتاً ولا عالمياً، فالعديد من الأدبيات لا تزال مستمرة في التفرقة بين الصداقة على الخط وخارجه online and offline باعتبارهما كيانين منفصلين ومتمايزين (eg. Buote, Wood) and (Pratt 2009), (Chan and Cheng 2004), (Vitak 2008)

يجادل بعض الباحثين بأن دراسة العلاقات على الخط تطرح بعض التحدّيات المتنوّعة، فمختلف الدراسات التي تمّت قبل ظهور الإنترنت تركّز على التفاعل وجها لوجه كطريقة أوّلية لإنشاء العلاقات. يختلف الحال لّما نحاول دراسة العالم الافتراضي وهذا راجع لغياب بعض الشروط اللازمة لتكوين العلاقات الواجب حضورها كالقرب الفيزيقي ولغة الجسد body language ... بحيث لا توجد أيّة معلومات عن السمات الجسمانية للأفراد (باستثناء بعض الحالات) والتي تعمل على جذب الأفراد لبعضهم البعض وتساعدهم على الإحاطة ببعض المؤشرات الدالّة عن شخصيّة الطرف الآخر وتسهل لهم عملية الإختيار.

يرى كل من (Lea and Spears) "*أن القرب الفيزيقي physical proximity والتفاعل وجه لوجه والمعلومات عن السمات الجسمانيّة، والإشارات حول المجموعة والسياق الإجتماعي العام والاتصال غير اللفظي، هي شروط مسبقة لتطوّر العلاقات*" وغياب مثل هذه العوامل قد يعيق تطوّر علاقات شخصيّة عميقة بين الأفراد [14] .

يختلف بعض الباحثين مع النظرة السابقة المذكورة، مؤكدين أنه بالرغم من أن العالم الافتراضي يحمل بعض المعوّقات التي قد تكبح تطوّر العلاقات الشخصيّة، إلا أنه ينضوي أيضاً وفي نفس الوقت ميزات أخرى مهمّة تدعم عمليّة إنشاء العلاقات، وهذا ما يتطلّب من الباحثين وعياً أكبر بالاختلافات الموجودة بين العالمين الفيزيقي والافتراضي، بحيث يجادل (Mckenna and Bargh) [15]:

"*أنه يمكن للإنترنت أن تعزز علاقات لم يكن من الممكن أن تبدأ في العالم الحقيقي فالعلاقات التي تنشأ في هذا المستوى من العمق يمكن أن تكون مهمة ودائمة للأفراد من تلك التي تنشأ في العالم الفيزيقي*"؛ بحيث يعطي العالم الافتراضي للأفراد إمكانية اللّقاء دون تأثير نمطيّة الجاذبية الجسمانية والتي قد تكون سببا في منع بعض اللأفراد (الخجولين أو الذين يعانون من عاهات جسمانيّة مثلا...) من مواجهة الأطراف الأخرى لتكوين علاقات وتطويرها، فالاتصالات عن طريق وسيط تسمح للمستخدم بإظهار كل نقاط قوّته وقدراته في سبيل الفوز بعلاقة صداقة.

تُعدّ الصداقة Friendship عامل مهم للغاية في حياة الفئات الشابة داخل أي مجتمع، بحيث تبحث هذه الفئة الى تكوين علاقات خارج عائلاتها ومحيطها الضيّق خاصّة في المرحلة الدراسيّة الجامعيّة، أين تصبح الصداقة في غاية الأهميّة وتشكّل نقطة تحوّل رئيسيّة تختلف عادة عن سابقاتها من المراحل وتتميّز بصداقة أقرب وأعمق [16].

تنشأ بين المستخدمين علاقات صداقة من خلال استخدامهم لمواقع شبكات التواصل الإجتماعية وخاصّة الفايسبوك facebook والذي صمّم لتسهيل الاتصال مع مختلف الجماعات والأفراد في سياق مختلف عن سياق العالم الفيزيقي، بحيث يعمل كل موقع من هذه المواقع على الترويج لنفسه من خلال مجموعة شعارات تجذب المستخدمين، يعرف موقع My Space نفسه على "أنه مكان للأصدقاء"، وموقع Orkut بأنه "مجتمع على الخط يربط الناس من خلال شبكة من الأصدقاء الموثوق فيهم"[17] فاستخدامات هذه المواقع لفت الانتباه للممارسات الجديدة وعلاقتها بتشكل الصداقات القائمة على التكنولوجيات الإتصالية أو ما يعرف بالصداقة على الخط online friendship التي تركز على جمع وإدارة وتصنيف الافراد الذين يعرفهم المستخدم.

تشكّل كلمة "صديق" Amie أو friend الطريقة الشائعة لوصف علاقة في مواقع شبكات التواصل الاجتماعية، بحيث اعتبره الباحثون مفهوم غامض وغير واضح [18] يفتح المجال لعدة تأويلات، فالبعض يعتبره شخص يتقاسم معه المستخدم اهتمامات معيّنة، أو أنه صديق مشترك mutual friend أو أنه صديق ينتمي للشبكة الإجتماعية التقليدية (العالم الواقعي) للفرد المستخدم إنضم لشبكته الافتراضيّة.

في نفس السياق، ترى Boyd أن مفهوم "صديق" في مواقع شبكات التواصل الإجتماعية يعكس عدد عريض من العلاقات (زمالة، معارف، أفراد عائلة..)، ذلك لأنه أخذ منحى آخر عن المعنى الذي يؤديه في العالم الفيزيقي، بحيث يستخدم مفهوم friending للإشارة إلى الصداقة الرقمية التي تحدث بالعدوى contagion **(19)** بمعنى أن يصبح المستخدم صديق لغيره من المستخدمين لأسباب قد تكون مغايرة تماما لإحساس الصداقة في العالم الواقعي (vraie vie) وأنها لا تشكّل علاقة مقرّبة أو انعكاس لها، بل هي قبل كل شيء علاقة بين بروفيلين (2 profils) تحدث ضمن عملية تكنولوجية.

ينطلق إنشاء علاقات الصداقة عبر الفايسبوك من مبدأ "أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي" [20] فالانتماء لأحد هذه المجتمعات الافتراضيّة يجعل الموقع يقوم باقتراح عدد من الأشخاص على المستخدم يمكن أن تكون له معرفة مسبقة بهم أو يمكن أن يتقاسم معهم اهتمامات مشتركة، كما يمكن للمستخدم أن يبادر بالبحث ومطالعة قوائم أصدقاء أصدقائه علّه يجد هدفه.

ترتكز استخدامات الفايسبوك على الصداقة، أو بالأحرى إمكانية ايجاد أصدقاء على الخط يتقاسم معهم المعلومات والأوقات والصور ونشاطات متنوعة أخرى حسب احتياجاته، وقد لاحظ الباحثون أن التواجد في أحد مواقع الشبكات الإجتماعية راجع لتأثير المودة Mode المنتشرة بين الشباب خاصّة، أين يلجئون لتقليد بعضهم في الالتحاق بالمواقع بحثا عن الإتصال بقبيلتهم Tribu وقد عبّر عن ذلك أحد المستخدمين ملخصا الحافز وطريقة الانضمام للمواقع بالعبارة التالية: « puisque tu es sur tel réseau social, alors je vais également m'y inscrire »

كما يلتحق المستخدمون بهذه المواقع لإشباع رغبة الانتماء إلى مجتمع معين يوفر له أفراداً يقاسمونه اهتماماته وآرائه... ويستعرض نفسه كذلك عن طريق تفاعله معهم، لذلك، يتكلم الباحثون عن مفهوم "قبيلة" يبحث من خلالها المستخدم عن الإعتراف reconnaissance من طرف أفراد المجتمع الافتراضي الآخرين، بحيث يقول في هذا الصدد (pierre Mercklé) أن مواقع شبكات التواصل الإجتماعية (SNSs) يمكن أن تشكّل[21].

« Un nouveau paradigme sociologique, une troisième voie théorique entre holisme et l'individualisme sociologique »

وقد لاحظ الباحثون أن هناك ارتفاع في حدّة الفردانية التي يبحث من خلالها الأفراد عن البروز والتفرّد، لكن في نفس الوقت، يبحث كل فرد من هؤلاء

عن الانتماء لواحدة من المجتمعات على الخط من أجل التفاعل والتبادل والشعور بالاعتراف من طرف الأصدقاء.

إن بحث المستخدمين عن إشباع حاجة الاعتراف، يفسّر الكثير من السلوكيات التي يقومون بها، بحيث ينطلقون في سباق لجمع أكبر عدد من الأصدقاء والذي يرمز لمدى شهرة وشعبيّة المستخدم ومكانته ضمن المجتمع (الافتراضي) الذي ينتمي إليه في حين يشكك البعض في مفهوم الصداقة التي تعكس أعداداً خيالية من المستخدمين تفوق تلك التي يملكها الفرد في عالمه الواقعي وتعكس عدم جديّة في تجميع الصداقات [22].

فقد لاحظ عدد من الدارسين بأن الدافع وراء تجميع الأصدقاء ليس حاجة إنسانية بغرض البحث عن الرفقة Companionship بقدر ما هي حاجة اخرى قد تبدو اقل عمقاً هي البحث عن المكانة Status، فقد تبين ان السبب وراء وجود العديد من البروفيلات المزورة للمشاهير هم المعجبين الذين يبحثون عن القليل من الشهرة الضيقة.

يسمح موقع فايسبوك facebook بالمحافظة على العلاقات مع الأصدقاء والمعارف وإيجاد أفراد تمّ افتقادهم في المحيط الفيزيقي لاعتبارات جغرافية مثلا، كما يسمح بإنشاء علاقات جديدة بناءا على انشغالات واهتمامات مشتركة ضمن سياق الشبكة المشترك ومختلف التطبيقات المقترحة، ويسهل البقاء على اطلاع بكل ما يقوم به الأصدقاء (قائمة الأصدقاء) ويعطي للمستخدمين فرصة جيّدة لمعرفة أنفسهم بشكل أحسن نتيجة التفاعلات التي تحدث بينهم وبين أصدقائهم، و قد لاحظ (Michel Forsé) أن استخدامات الشباب لمواقع شبكات التواصل الإجتماعية موجّهة للخارج (أي لإيجاد علاقات مع آخرين) عكس الفئات الأكبر سناً التي تتوجه لشبكات القرب، العائلة، والمحيط الجغرافي.

تكمن جل ممارسات الشباب وأنشطتهم عبر الفايسبوك facebook بعد ايجاد الأصدقاء في تقاسم وتشارك المحتويات من صور وفيديوهات... كما يقومون بالتعليق commenter والتعبير عن اعجابهم على ما ينشره أصدقائهم عبر الموقع

بالضغط على زر like والتناقش والتحاور على هذه الأنشطة التي يهدفون من ورائها للبقاء في أجواء حميمية والاستمرار في التبادل مع محيطهم (الواقعي والافتراضي)، وهذا اعتماداً على ما توفره هذه المواقع الإجتماعية من معلومات شخصيّة وعامّة عن المستخدمين الآخرين والتي لا يمكن للمستخدم التوصّل إليها عن طريق علاقات الوجه لوجه، في حين يفصح عنها المستخدمين دون حرج في العالم الافتراضي، وقد وصف بعض الباحثين ظاهرة كشف المستخدمين لمعلوماتهم الشخصيّة بالثرثرة على الخط.

يرى (Christian Bensi) في هذا الصدد أن أنشطة الشباب على هذه المواقع لا يعني أنهم أصبحوا دون حياة « no life » ويؤكد أن استخداماتهم تشكل طريقة للبقاء على اتصال، أين يقبل الأفراد من خلال استخدامهم للمواقع على تمديد الروابط التي يملكونها والمحافظة عليها، بحيث عملت هذه المواقع على انقاص درجات الانفصال بين الأفراد والتي حددت من قبل بستة (6) درجات حسب نظرية (Milgram) الشهيرة الخاصة بالشبكات الاجتماعية، بحيث يتم الكلام عن الروابط الضعيفة les liens faibles المتمثّلة في العلاقات المهنيّة والمعارف العابرة [23]، أين تمثّل هذه المواقع تجمعات كبيرة يقوم المستخدمون من خلالها بجمع المئات من الأصدقاء الذين لا يحملون نفس الصفة وليسوا بالضرورة نفس أصدقاء الحياة الفيزيقية.

تؤكد (Claire Bidart) على فكرة أن علاقات الصداقة في العالم الافتراضي تساهم في تكوين وتشكيل المجتمع، ذلك لأنها تعمل على إنتاج روابط إجتماعية متنوعة وتساهم في تراكم رأس المال الإجتماعي والذي يشكل بدوره شبكة العلاقات التي يمكن للفرد أن يكوّنها وتمثل بالنسبة له مجموعة موارد يستفيد منها، بالإضافة إلى أن المواقع تمثّل طريقة سهلة للولوج والتحصّل على الدعم المادي والمعنوي.

توصّل (Marlow) من خلال دراسة قام بها [24] الى وضع تصنيف يضم أربع أنماط من العلاقات أو الصداقات من خلال facebook وهو تصنيف أوّلي قائم على مدى تردّد وتواتر التبادلات على الخط وهو كالآتي:

1- قائمة الأصدقاء liste d'amis: الموجودين في دليل الصداقة، أو الذين قبلوا طلب صداقتنا بهم عبر الموقع.
2- الأصدقاء الذين نتبادل معهم الإتصال communication réciproque.
3- الأصدقاء الذين لا نتبادل معهم الإتصال، بحيث يحاول المستخدم الإتصال بالمستخدمين الآخرين الموجودين في قائمته لكن دون أن يجيبونه.(إتصال من طرف واحد).
4- الأصدقاء الذين نتبادل معهم علاقات مدعومة من الطرفين، أين نجد فعلين (deux actions) على الأقل، تبادل محتويات، زيارة بروفيلات...إلخ.

وقد لاحظ (Marlow) وفريق بحثه أن العلاقات المدعومة relations soutenues نادرة جداً وتكون مرتبطة بحجم شبكة المستخدم أو قائمة أصدقائه، كما أنه كلما اتسعت شبكة المستخدم قلّت هذه العلاقات، وقد أثبتت الدراسة أن الشبكة المتكوّنة من 150 صديق تجعل المستخدم يتعامل مع 5 أفراد إن كان المستخدم ذكراً أو 7 إن كانت المستخدمة أنثى [25] .

يرى الباحثون، أن الصداقة تشكّل نقطة الدخول لموقع facebook ودليل الخطوات الأولى فيه، وقد عبّر عن ذلك Pierre وهو تلميذ ثانوي قائلا: « on y va grâce aux amis » بحيث أن الأصدقاء يدعون ويُدخلون الملتحقين الجدد بالموقع حتى بالنسبة للذين لا يملكون بروفيلات فإنهم يتوجهون مع أصدقائهم (عادة أقرانهم) إلى مقاهي الإنترنت من باب الفضول تمهيداً لالتحاقهم بصف المستخدمين، فأرضيّات المواقع تقترح قبول الدعوات أو تجاهلها ignorer لكنها لا تستخدم كلمة رفض refuser لأن تجاهل الدعوة تبقي أمل العلاقة بين المستخدمين

في حين أن الرفض يعد غير مقبول اجتماعياً ويهدد العلاقات خاصّة إن كانت قاعدتها علاقات العالم الواقعي أين يلتقي الطرفين وجها لوجه.

و يُؤكد كل من (Stenger et Coutant) كذلك على أن الأصدقاء في مواقع شبكات التواصل الإجتماعية لهم عدّة أشكال [26] ولا يحملون صفة واحدة تكون كلّها منطوية تحت مضلّة صديق « Amis » :

1- أصدقاء حقيقيين réels: بمعنى الحميمية، القرب، التواطؤ، ولا يشكلون الغالبيّة في المواقع وإنما يشكلون القلّة، لكن كثافة العلاقات حقيقية، لأن الاتصالات الأساسية تحدث معهم عبر الموقع (الشات، التعليق، رسائل على الحائط...).
2- الأصدقاء اليوميين، أقل حميميّة: يتمثّلون في معارف يرتبطون بمكان أو نشاط معيّن (جامعة ، قسم...) بحيث يوجد موضوع مشترك عادة يتمثل في حيز جغرافي واحد.
3- معارف سابقة: تتمثّل في أشخاص تمّ التعرّف عليهم من قبل، لكن لا توجد علاقات دائمة معهم (أشخاص تم التعرّف عليهم أثناء الإجازة، سهرة...) كما أن زملاء الدراسة القدماء يشكّلون مجموعة من الدرجة الثانية لعلاقات الصداقة، فالعلاقات في هذا السياق نادرة ومحدودة ضمن الزمن.
4- أفراد العائلة: (الإخوة والأخوات...) يمكن للمستخدم أن يكون صديق مع فرد من عائلته كالإخوة والأخوات مع الإشارة إلى أن الأولياء لا يشكّلون بالضرورة جزء من قائمة الأصدقاء عند الشباب، لكن نجد أن الأولياء هم من يبحثون لتكوين صداقات مع أبنائهم بهدف مراقبة نشاطاتهم.
5- أشخاص يتقاسمون اهتمامات مشتركة (رياضة، موسيقى..): بحيث يتقاسم المستخدمين اهتمام أو ممارسة مشتركة تبنى علاقاتهم على الخط.

6- مشاهير ونجوم رياضيين وفنّانين: تجمع بعض الصفحات محبّي هؤلاء المشاهير والمعجبين بهم.

7- الأنا المتعدّدة des Soi: هناك إمكانيّة لأن يكون المستخدم صديقا مع نفسه بامتلاكه عدّة حسابات أو بروفيلات من أجل حماية نفسه أو إخفاء نشاطاته عن الأولياء بحيث يكون للمستخدم بروفيلين أحدهما "رسمي" لا ينشط من خلاله وآخر يحمل إسم مستعار ينشط من خلاله بشكل سري.

8- منظّمات organisations: وتشمل فرق موسيقيّة، برامج تلفزيونيّة، فرق كرة قدم، جرائد منضّمات مهنية، وهي تختلف عن بروفيلات الأصدقاء وهي في شكل صفحات pages أو groupe تقدّم نفسها للمستخدمين الراغبين في الاشتراك في صفحاتها ليصبحوا معجبين.

وعلى أيّة حال؛ إن أهم ما يمكننا استنتاجه من هذه المداخلة هو الاختلاف الموجود نسبيا على المستوى المفاهيمي بين كل من الصداقة في العالمين الواقعي والافتراضي، وهذا دون اعتبارهما بالضرورة عالمين أو كيانين منفصلين تعسفا، فمؤشرات التمازج بينها مطروحة جداً، ويؤكد عليها ارتباط المستخدم بهما في نقل علاقاته بشكل متبادل من الواقعي إلى الافتراضي ومن الافتراضي للواقعي في عملية لا تخرج عن حدود حياته اليومية.

يرتكز تصور الأفراد لمفهوم "الصداقة" على مرجعيتهم الاجتماعية والثقافية غير الثابتة، واستعداداتهم للدخول في التفاعلات والتخلي عنها في أي وقت، كما يرتبط كذلك أساساً بعلاقتهم بالتكنولوجيا، أي بتصميم المواقع في حد ذاتها وتحديدها لمفهوم الصداقة الذي يخدم أغراضها، وعلى هذا الأساس، يجد المستخدم نفسه ملزماً بقبولها كخطوة أولية يتفاوض من خلالها مع التكنولوجيا حتى يتمكن من الاستمرار في التفاعل داخل الموقع في اطار عملية تكنولوجية لا أكثر، لكنه في نفس الوقت غير مجبر على تبنيها كنظرة محددة لمعنى الصداقة التي يؤمن بها ويمارسها في حياته اليومية، بمعنى أنه يملك القدرة ويستطيع التفرقة بين الصداقة

القائمة على الألعاب التشاركية وغيرها من النشاطات الافتراضية وبين صديق الطفولة المقرب، وقد انتبه مصممي المواقع الاجتماعية لضرورة ادراج تصنيفات للعلاقات التي تنشأ على مواقعها تفرق بين المعارف، الزملاء، أفراد العائلة...وغيرها من العلاقات حتى وان جمعت جميعها تحت عنوان الأصدقاء Friends.

تتشابه علاقات الصداقة بين السياقين الواقعي والافتراضي من حيث امكانية تداخلهما كمرحلة أولى، فقد أثبتت الدراسات أن هدف المستخدمين بعد انضمامهم للموقع هو البحث عن علاقات من واقعهم الفيزيقي اليومي للالتحاق بها أو لدفعها للانضمام ثم البحث عن علاقات جديدة والرد على طلبات الصداقة Friending من أجل التفاعل لأهداف عديدة، فتعمل بذلك الصداقة التي تنشأ افتراضياً على تكملة وتوسعة complement and extend الصداقات الموجودة من قبل.

تتكون علاقات الصداقة لأسباب كثيرة قد تختلف عن تلك التي تحدث في العالم الواقعي، لكنها يمكن كذلك أن تكون لنفس الأسباب كالاهتمامات المشتركة والتشابه في الأهداف similarity in goals الذي تظهره مجموعة من المؤشرات التي يعتمد عليها المستخدم في اتخاذ قراره ويساعده في ذلك الخوض في النشاطات كالمجموعات والتأشير بالإعجاب والتعليقات على المحتويات المشتركة المتقاسمة في الفضاءات الافتراضية، فمتغير القرب الذي تفترضه العلاقات في السياق الفيزيقي توفره المواقع بأشكال اخرى كثيرة خاصة مع التقدم التقني وتحديث التطبيقات والبرامج على مستوى الصوت والصورة، فنلاحظ أن استمرارية الصداقة سواء في الفضائين الواقعي أو الافتراضي تعود لمتغير "الإرادة" الذي يحدد نسبة تكرار التفاعلات أو غيابها في ظل توفر نفس الشروط.

يفكر المستخدمين أثناء تطور علاقاتهم في العالمين الواقعي والافتراضي في رغبتهم في الاستمرار في التفاعل والتعاطي مع الشبكة التي ينسجونها وذلك عن طريق تقييم ما مضى من تفاعلات في عدة وضعيات كمرحلة إعادة "مراجعة

للعلاقة"، فنوعية العلاقة تحددها عوامل معينة كتوالي اللقاءات في الحياة اليومية وتواتر التعرض frequency of exposure للموقع بالنسبة للانترنت ومواقعها، بحيث يبدو أن تكون العلاقات على المواقع أسهل وأسرع بالنسبة للمداومين على الاستخدام في إعطاء الفرصة والوقت الكافي لتحقيق تبادل الرسائل، وإنشاء انطباع عن الشخصية وتنمية العلاقة بنفس الكيفية التي تتم في عالم الحياة اليومية وهو ما يسمح بتشكيل الصداقة حتى وان كانت لمرحلة معينة فقط، فديمومتها في السياقين الواقعي والافتراضي مسألة تتحكم فيها عدة متغيرات متداخلة، لذلك فان أي تفكير وبحث مستقبلي لموضوع الصداقة بوصفها جانبا مهما من جوانب التفاعلات الانسانية لابد ان تأخذ بعين الاعتبار نقاط الالتقاء والاختلاف بين الصداقة على الخط وخارجه على مستوى الفهم والممارسة والتي ترعاها استخدامات وتصورات الأفراد المتمايزة.

❖ **هوامش البحث**

(1) عزير لعبان، « الفضائيات العربية ومجتمع المعلومات » ، مجلة فكر ومجتمع، العدد 2،الجزائر، 2009 ، ص33.

(2) Mayja Gerlander & Eeva Takala: "Relating Electronically Interpersonality in the Net", Department of Communication, University of Jyväskylä, 1996, p: 1.

(3) Claire Bidart : « *Les Ages de L'Amitié, Cours de la vie et formes de socialisation* », n° 113, p. 65-81 *Transversalités*, janvier-mars 2010, p 68.

(4) أسامة سعد أبو سريع: " **الصداقة من منظور علم النفس**"، مكتبة عالم المعرفة، نوفمبر 1993، ص 27.

(5) Hartup, W. W: *"The origins of friendships".* In M. Lewis & L. A. Rosenblum (Eds.), *Friendship and peer relations,* New York: Wiley, 1975, p 11.

(6) Darius K.-S. Chan & Grand H.-L. Cheng: "*A comparison of offline and online friendship qualities at different stages of relationship developmen*t" The Chinese University of Hong Kong, Journal of Social and Personal Relationships, Sage Publications,2004, p 2.

(7) مصطفى سويف: "**مقدمة لعلم النفس الإجتماعي**"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص 245.

(8) أسامة سعد أبو سريع: "**الصداقة من منظور علم النفس**"، مكتبة عالم المعرفة، نوفمبر 1993، ص34.

(9) T-Ravichandran : " *on Friendship*", Published in college English Review, April-June 1999, Vol, 3 :N2 pp: 23-25

(10) Bunter, G: "***Friends by choice an actor-oriented statistical Network model for friendship networks through time***", Amsterdam: Thesis publishers, 1999, p: 5.

(11) Dominika Zaczek: " ***online Friendships***", University of South Africa, February 2004, P: 7.

(12) Tesser A, and Campbell, J: self definition: "***The impact of Relative performance and similarity of others"***, Master of Arts social psychology Quarterly, 43, 341, 1980, p: 22.

(13) Dominika Zaczek: *"**online Friendships***", University of South Africa, February 2004, P: 8.

(14) Lea and Spears: **« *Love at first byste****?* *Building Personal Relationship over computer networks »*, Newbury parks, CA, sage, 1995, p: 200.

(15) McKenna and Bargh**: plan 9 from Cyberspace**: "*The implications of the internet for personality and social psychology"*, personality and social psychology Review, 4(1) 2000, p: 59.

(16) Anne West and others : "***Student's facebook 'Friends*** *' public and private spheres"*, Journal of Youth studies, Vol.12, N°6 December 2009, p: 3.

(17) Christine Rosen: "***Virtual Friendship and the New Narcissism****" the New Atlantis*, A Journal of Technology & Society, summer 2007, p: 14.

(18) Victoria Geyer: "***What is social in social networking****? Is social networking failing to sustain traditional social standards*? "Proceedings of the New York state communication Association, University of Hofsta, p: 3.

(19) Francois Filliettaz, Marco Gregori : « *Comprendre les Réseaux Sociaux numériques »*, Direction des systèmes d'information et service école-médias, Version 1.0, Septembre 2011, p : 7.

(20) Christian Balagué et David Fayon : **« *A quoi sert un réseau social ?* »**, Pearson Education, France, 2010, p : 11.

(21) Ibid, p 2.

(22) Danah Boyd:" ***Friends, Friendsters, and MySpace Top 08****: Writing community into being on School Network sites*", University of California-Berkeley, 2006, p: 5.

(23) Soren Preibusch and Alastair R, Beresford: "***Estabilishing Distributed Hidden Friendship Relations****"*, University of Cambridge, Computer laboratory, 2010, p 12.

(24) La Rochelle : ***vers un Management des « Amie » sur les Réseaux socionumériques ?*** *Usage et appropriation sur facebook, Skyrock et MySpace*, 15eme colloque de l4 association information et Management, France, 2010, p : 5.

(25) Marlow C: "***Maintained relationships on facebook***", 2009, p: 3. (http://overstated.net) site visited in 02/05/2012

(26) Stenger Thomas et Coutant Alexandre : ***« Des amis sur les Réseaux socionumérique****s ? Types et Formes de Relations »*, Institut des sciences de communication du CNRS, 2010, p : 5.